انهم استدلوا بحركاتها ولو كانت طفيفة جدًّا لا بشكلها ولا بلونها الاَّ اذا كان هذا الشكل وهذا اللون ملازمين لطائفة من الناس ولها اخلاق خاصّة بها او اذا تكرَّرت حركتها على اسلوب واحد حتى ابقت لها اثرًا فيها . وسنأتي على تفصيل ذلك كلهِ في الاجزاء التالية

اصلاح نسل الانسان

لو كان موضوع هذه المقالة اصلاح نسل الحيوان كالخيل والغنم والبقر لاهتمَّ اهل الزراعة بها وقرأوها بالامعان الذي تستحقهُ . ولكن اصلاح نسل الانسان وعليهِ يتوقف ارتقاء الامم وتفوُّقها على غيرها يراهُ جمهور كبير من القراء امرًا ادًّا لا يجوز البحث فيهِ ولا تحلُّ الكتابة عنهُ . ولو زار الارض احد سكان الكواكب واخبرتهُ ان علماء الارض يهتمون باصلاح نسل الغنم والبقر ولا تهتمون باصلاح نسل البشر لظنك تمزح او تهذي ولكن هذا هو الواقع ولولا الميل الفطري الى الارتقاء والحث الديني على العفة لكان نوع الانسان احط من انواع كثيرة من الحيوان

الاوربيين ولا سيما الانكليز منهم اسلوب حسن جدًّا لتخليد ذكر العلماء ونشر الحقائق العلمية بين العامة منهم وهو جمع مالٍ يُعطى ريعهُ لمن يُنتدب لخطبة علمية يتلوها تذكارًا للعالم الذي يراد تخليد ذكرهِ . ومن هذه الخطب الخطبة التي تُتلى على ذكر الاستاذ هكسلي وقد دُعي للاولى منها الاستاذ فركو الالماني ونشرناها في حينها ودعي للثانية الدكتور فرنسيس غولتن العالم الانكليزي صاحب المباحث المستفيضة في الوراثة وآثار الانامل فخطب في التاسع والعشرين من الشهر الماضي (اكتوبر) خطبة موضوعها امكان اصلاح نسل الانسان في الاحوال الحاضرة . ويستفاد مما قالهُ في هذا الصدد ان اخلاق الناس تختلف كثيرًا ولكنها تجري في قوتها وضعفها وشيوعها وانحصارها على قانون حسابي يسمى قانون التغلُّب ومفاد هذا القانون انهُ اذا اتصف مئة نفس بخلق من الاخلاق فيكون هذا الخلق على متوسطهِ في خمسين منهم . والخمسون الباقون نصفهم فوق هذا المتوسط ونصفهم تحتهُ . واذا قسم الخمسة والعشرون الذين فوق المتوسط الى ثلاث طبقات كان ١٦ منهم في الطبقة التي تلي الوسط و ٧ في الطبقة التي فوقها و ٢ في الطبقة العليا وكذا الخمسة والعشرون الذين تحت الوسط يكون ١٦ منهم في الطبقة التي تليهِ و ٧ في الطبقة التي تحتها و ٢ في الطبقة السفلى . فالنوابغ في كل خلق من الاخلاق لا يزيدون على اثنين في المئة والمنحطون الى الدرك الاسفل فيهِ لا يزيدون على اثنين

في المئة ايضاً واكثر الناس من المتوسطين في ذلك الخلق

واذا توسعنا في الاحصاء ونظرنا في عشرة آلاف نفس لا في مئة فقط رأينا خمسة آلاف منهم في الطبقة الوسطى و ٢٥٠٠ في الطبقات التي فوقها و ٢٥٠٠ في الطبقات التي تحتها. ومن اهل الطبقات التي فوق الوسط ١٦١٣ في الطبقة التي تلي الوسط و ٦٧٢ في الطبقة التي فوقها و ١٨٠ في التي فوق هذه و ٣٥ في الطبقة العليا. وكذلك يكون الامر في الطبقات السفلى اي يكون ١٦١٣ في الطبقة التي تلي الوسط و ٦٧٢ في التي تحتها و ١٨٠ في التي تحت هذه و ٣٥ في الطبقة السفلى. فالنوابغ في كل امر من الامور يبلغون نحو ٣ في الالف والمنحطون فيه انحطاطاً تاماً يبلغون ايضاً نحو ثلاثة في الالف وبقية الناس بين بين واكثرهم في الطبقة الوسطى

هذا يكون حال الناس اذا تُركوا يتوالدون من غير اعتناء خاصّ باصلاح نسلهم اي من غير ان يُغرى المرتقون منهم بالزواج وإخلاف النسل و يُعتنى باولادهم اعتناء خاصاً لحفظ صحتهم وتثقيف عقولهم وتهذيب اخلاقهم ومن غير ان يمنع المنحطّون عن الزواج لكي يقل عددهم وينقرض نسلهم رويداً رويداً. واما اذا بُذلت العناية في ما تقدّم من اغراء المرتقين بالزواج ومنع المنحطين عنهُ فلا بدَّ من ان تتغيَّر النسبة المذكورة آنفاً ويكثر عدد اهل المناقب ويقل عدد اهل المعايب

واذا قدّر ثمن الاولاد بما تستفيدهُ منهم بلادهم وامّتهم كما يقدَّر ثمن نتاج الخيل بما يستفيدهُ منها اصحابها وساوى طفل الابوين اللذين من الطبقة الدنيا عشرة دنانير فطفل الابوين اللذين من الطبقة العليا يساوي الف دينار او عشرة آلاف دينار كما يباع مهر الهجين بخمسة دنانير ومهر الاصيل بخمسة آلاف

وهذا الحكم لا يقتصر على الرجال بل يتناول النساء ايضاً فاذا قُصِر الانتقاء على الرجال وعلى الطبقة العليا منهم وابيح لهم التزوج بمن يشاؤون من بنات الطبقة العليا وغيرها من الطبقات التي تحتها من غير انتقاء وقسمنا مئة من نسلهم الى ثماني طبقات وجدنا في الطبقة العليا منها نحو ٤ انفس وفي الطبقة الثانية وفي التي تحتها نحو ١٠ وفي الثالثة نحو ٢١ وفي الرابعة نحو ٢٧ وفي الخامسة نحو ٢٣ وفي السادسة نحو ١٠ وفي السابعة نحو ٣ وفي الثامنة نحو ١. واما اذا تناول الانتقاء الرجال والنساء ايضاً فتزوّج رجال الطبقة العليا بنساء الطبقة العليا فقط جاء اولادهم من الطبقات الخمس الاول فقط لا من التي دونها. اي ان الاخلاق الموروثة في الوالدين تفعل بالنسل ولكنها لا تعيدهُ الى الطبقات الدنيا فيكون في الطبقة العليا نحو

١٨ نفساً وفي الثانية ٢٩ وفي الثالثة ٢٩ ايضاً وفي الرابعة ١٥ وفي الخامسة ٩ انفس ولا يكون احد من اولادهم في الطبقة السادسة والسابعة والثامنة

فاذا ثبت ذلك وامتنع الذين من الطبقات الدنيا عن التزوُّج وإخلاف النسل زاد عدد الذين من الطبقات العليا رويدًا رويدًا وارتقت بهم الامم ونجت من متاعب كثيرة اذ يقل فيها الاشرار والبهَّال ويكثر الفضلاء والمجتهدون

الاَّ ان المنع ليس ممَّا يسهل امرهُ فلم يشر بهِ الخطيب بل اشار بترغيب الفضلاء والفاضلات في الزواج واخلاف النسل وذلك بان ينتبه رؤساء المدارس للنابغين من طلبة العلم وطالباتهِ الذين يمتازون على غيرهم بالقوى العقلية والادبية والهمَّة والنشاط ويبحثوا عن اصلهم وفصلهم وما في اسلافهم من الادواء والامراض وكثرة الولد او قلتهِ حتى اذا رأوهم من اصح الناس بنيةً واجودهم صحَّةً واذكاهم عقلاً واكرمهم اخلاقًا اعطوهم شهادات ناطقة بذلك فيكون لهم الامتياز على غيرهم في الزواج

وما يرى في الاحداث من الاخلاق قد لا ينمو فيهم بتقدمهم في السن وقد تظهر فيهم اخلاق فاضلة متى اكتهلوا لا تكون فيهم في حداثهم ولم يبحث احدٌ حتى الآن عن نسبة الاحداث الى الكهول من حيث نمو الاخلاق ليعلم كم عدد الذين تستمرُّ اخلاقهم الفاضلة على النمو وكم عدد الذين تزيد فيهم هذه الاخلاق او تنقص ولكن مهما يكن من ذلك فلا شبهة في ان ترغيب خيرة الناس في الزواج واخلاف النسل يفضي الى اصلاح الامَّة بتكثير الاخيار فيها كما ان منع الاشرار والكسالى عن التزوج يفضي الى اصلاحها بتقليل الاشرار والبهَّال

ومن الوسائل التي اشار بها الخطيب لترغيب الاخيار في الزواج اعطاء الاموال صداقًا لاهل الفاقة منهم وإسكانهم في بيوت جامعة شروط الصحة واكرام الذين لا يحتاجون الى المال منهم بالرتب ونحوها مما تُظهر بهِ البلاد اكرامها لابنائها وبث التعاليم الدينية في نفوسهم لكي تزيد عفتهم وتقوى تمسكهم بالفضائل . وقد جرى الناس في كثير من البلدان المتمدنة على تأخير الزواج من باب اقتصادي لكثرة النفقات التي ينفقونها فيهِ وعلى اولادهم ولكن يمكن تغيير ذلك وتقليل النفقات كثيرًا فلا يعود الزواج الباكر من البواعث بل يصير من المعونات

وقد جرت البنات الاوربيات والاميركيات المتعلمات على تأخير الزواج الى السنة الثامنة والعشرين او التاسعة والعشرين من عمرهنَّ لكي يتفرَّغن للدرس في المدارس العالية ومناظرة الرجال في العلوم والفنون . وعدل بعضهنَّ عن الزواج مطلقًا واخترن العزوبة عليهِ لكي يخلصن من هموم البيت والاولاد . سئلت ناظرة مدرسة عالية عما يستفيدهُ بنات مدرستها من العلوم

بعد خروجهنَّ منها فقالت ان ثلثهنَّ يستفيد من علومهِ فائدة كبيرة وثلثهنَّ يستفيد فائدة صغيرة واما الثلث الثالث فلا يستفيد شيئاً . فقيل لها وماذا يفعل اللواتي لا يستفدن فقالت انهنَّ يتزوجنَّ . وعلى هذا المنوال قلَّ عدد الراغبات في الزواج بين النابغات في العلوم

ومن رأي الخطيب انهُ اذا تزوَّج البنات باكرًا في السنة الحادية والعشرين او الثانية والعشرين كان نسلهنَّ اكثر نمًّا لو تزوجن في الثامنة والعشرين والتاسعة والعشرين لان العقم يحدث في سن معلوم فالتي تبكّر في زواجها تلد اكثر من التي تؤخرهُ . فاذا روعيت هذه القاعدة وأُصلحت المساكن حتى قلَّت الامراض شبَّ الاولاد اقوياء الابدان والعقول ، تناسل منهم اولاد اقوياء ايضاً فتقوى بهم الامَّة و يعظم شأنها . وتدرَّج الخطيب من هذه القضايا النظرية الى قضيَّة عملية فقال ان الشعب الانكليزي ينفق كل سنة على اعمال البر اكثر من اربعة عشر مليون جنيه تذهب كلها صدقات لمساكين أفليس عندنا سبل أُخرى لمساعدة ابناء الامَّة غير هذا السبيل . اني لا اشير الى الانفاق على تعليم الشبان مع اني أرى نفسي مدفوعًا الى ذلك لما فيهِ من النفع الكبير ولكني اشير الى ما يفعلهُ بعض الاغنياء المحسنين من مد يد المساعدة الى الشبان وهم في اول عمرهم ليسهل عليهم الارتقاء . ان من يقرأ ترجمات المشاهير يعجب من كثرة الرجال الذين ارتقوا بقليل من المساعدة وهم في اول اعمالهم . ولا اعني بهذه المساعدة ان يعتمد الشاب الفقير على الرجل الغني وتكون العلاقة بينهما علاقة المحسن الى المحسَن اليهِ بل ان يمدَّ الغنيُّ يد المساعدة الى شاب يماثلهُ عقلاً وهمَّة ولكن لم يمض عليهِ زمن كافٍ لجمع الثروة مثلهُ فيكون بينهما نوع من المشاركة يفتخر بهِ كلٌّ منهما الغنيُّ يقول اني اعنتُ شابًا يستحق المعونة والشاب يقول اني استعنت برجل كريم لكي ارتقي في الاعمال واصير قادرًا على اعانة غيري . اي تكون بينهما نسبة شريفة نسبة الشريك الى شريكهِ لا نسبة مهينة نسبة المحسن الى المحسَن اليهِ

ولا تقتصر المساعدة على الفتيان بل تتناول الفتيات ايضاً كأن يتكرَّم المحسنون بالمال على البنات القليلات الثروة اللواتي ينتظر منهنَّ النسل المرتقي حتى يسهل عليهن التزوُّج وتربية الاولاد و يساعدن في تربية اولادهنَّ ايضاً

وابواب المساعدة واسعة لدى كبار الملاَّك وما ينفقونهُ في سبيلها رأس مال يعود عليهم بالربح الوافر فانهم اذا اختاروا اقوياء الابدان اصحاء العقول ودفعوا اليهم الاجور العالية وبنوا لهم البيوت الصحية وساعدوهم في معيشتهم زادوا صحَّة وهمَّة فاحسنوا خدمة املاكهم والاعتناء بها . وكيف يغفلون ذلك وهم لا يغفلونهُ في تربية مواشيهم بل يبتاعون الجيد القوي منها باغلى